# قراءة بسيكولوجية لظاهرة الجريمة المستحدثة
# تحليل الجرائم المستحدة و السلوك الإجرامي

**جفال عيدة**
**جامعة ورقلة**

**ملخص**

تسعى هذه الورقة العلمية لمحاولة منهجية يتم فيها تقديم نموذج هيكلي لتفسير الظاهرة الإجرامية من زوايا مكونات الشخصية " جسمي – عقلي – إجتماعي – وجداني " ، ففي ورقتنا هذه نضع تفسيرات نفسية للظاهرة الإجرامية ، ويكاد يكون المبرر الأساسي في ذلك أن الشخصية الإنسانية هي أهم و أكبر و يكاد يكون أشمل وعاء في علم النفس عموما و في علم النفس الجنائي خصوصا ، و عليه نحاول التأكيد على نموذج يجمع تفسيرات متعددة تحت مكونات الشخصية ، بالإضافة لنماذج غير مطروقة في الكتابات العربية تركز بخاصة على بعض النماذج المستخدم في اللغويات العصبية كمقاربة إسقاطية على الظاهرة الإجرامية و الجرائم المستحدثة .

**الكلمات المفتاحية :** التفسيرات النفسية ، الظاهرة الإجرامية ، الجرائم المستحدثة .

**Abstract**

This paper attempts to present a structural model for the interpretation of the criminal phenomenon from the angles of the components of the personality, "physical, mental, social, and emotional." In this paper we present psychological explanations of the criminal phenomenon. And it is almost the most comprehensive container in psychology in general and in criminal psychology in particular. Therefore, we try to emphasize a model that combines multiple interpretations under the components of personality, as well as unambiguous patterns in the Arabic literature, focusing in particular on some models used in neurological linguistics as a projection approach Criminal offenses and crimes.

**Keywords**: psychological interpretations, criminal phenomenon, newly created crimes.

**مقدمة**

نحن أمام عنوان رئيسي يتمثل في التفسيرات " النفسية " للظاهرة الإجرامية بشكل عام ، والتفسيرات النفسية للجرائم المستحدثة ، و واقع الأمر " التفسيرات النفسية" بمبادئ المنطق الرمزي عالم نتناوله إسقاطا على سياقين " الظاهرة الإجرامية عموما " و هي السياق الأكبر ، و " الجرائم المستحدثة " و هي سياق أصغر " و لكنه أبرز " ضمن الظاهرة الإجرامية عموما .

وطالما نحن نتحدث عن تفسيرات نفسية للظاهرة الإجرامية و الجرائم المستحدثة فإننا نجد أنفسنا أمام تعقيد هام من عدة نقاط:- أن هناك نسبية في الرؤية المجتمعية للجرائم .

- أنها في الغالب العام تتراوح فيما بين :
- التركيز على المجرم بشخصيته و مكوناتها و سماتها .
- أو التركيز على العوامل الإجتماعية و متغيراتها "إقتصادية – ثقافية ".
- أن هذه التفسيرات تختلف بإختلاف زوايا الرؤية البحثية .
- هذه التفسيرات من الصعوبة بمكان حصرها في مدة زمنية قصيرة و لكن يمكن محاولة إعطاء إطار يعطي تصورا يدمج تفسيرات مختلفة في نموذج هيكلي .

**المفاهيم :**

**التفسيرات النفسية :** لكل علم أهداف وموضوع و نظرية ومنهج ، أما عن الأهداف فتتمثل في الوصف والتفسير تمهيدا للتنبؤ والتحكم، وأما عن النظرية فهي نتائج نتوصل إليها من مقدمتها إستدلالا، صوريا "فلسفيا " أو " إمبريقيا " علميا" ، وأما المنهج فهو طريقة يسير العالم أو الباحث في هديها سعيا إلى نتائج .

وعليه فالتفسيرات النفسية هدف من اهداف علم النفس، والتفسير يأتي في علم النفس طبقا (لمعجم علم النفس والطب النفسي) على أشكال عدة:

( جابر عبد الحميد ، علاء كفافي،1990،ص1218)

علمية : تحديد الشروط المسبقة التي تؤدي لحدوث الظاهرة .

تاريخية : الوقوف على ما حدث و ادى لنشوء الظاهرة .

إختزالية : حالة من فحص الظاهرة في ضوء أساسياتها و بشكل مبسط.

تعميم: حيث يكون الإهتمام منصبا على مبادئ وقوانين عامة تضفي ترتيبا على العلاقات داخل الظاهرة أو بينها و بين محيطها .

وعليه ستكون المحاولة الحالية في تفسيرات الظاهرة الإجرامية من مناظير نفسية متعددة.

**- الظاهرة الإجرامية :**

في البداية ما هي الظاهرة بشكل عام و ما هي الظاهرة الإجرامية ؟

يشير (معجم علم لنفس والطب النفسي): أن "الظاهرة هي ما تبدو عليه الأشياء، وتتضمن الظاهرة معنى كامنا، لذا فليست الظاهرة هي الأشياء في ذاتها " .(جابر عبد الحميد ، علاء كفافي ، المرجع السابق،ص 2757)

وأما الظاهرة الإجرامية "فهي ما يبدو عليه نمط ثابت نسبيا من السلوك غير المشروع و المضاد للمجتمع كالسرقة و القتل ...إلخ".

(جابر عبد الحميد ، علاء كفافي ، المرجع السابق،ص 803)

وقد ربطت the Concise Corsini Encyclopedia of Psychology and Behavioral Science بين الظاهرة الإجرامية وسلوكيات مضادة للمجتمع وعدم توافق مع القانون .

(W.Edward Craighead and Charles B.Nemeroff,2004,p69)

**الجرائم المستحدثة :**

تشير الجرائم المستحدثة إلى (ما ظهر في الآونة الأخيرة من ظواهر إجرامية جديدة لجرائم معروفة أو أساليب جديدة لفرار من العدالة ).

(عباس أبو شامة ،1999،ص9)

وهناك من يشير إلى أهم ما يميز (الجرائم المستحدثة يتمثل في استخدام التكنولوجيا الحديثة ). (عبدالله اليوسف،2003،ص12)

وعليه يمكن فهم الاستحداث في الجريمة طبقا لمبدأين رئيسيين:

استحداث كلي :ويعني أنماط جرائم جديدة لم تكن مألوفة من قبل طبقا لمعايير بيئة معينة.

استحداث نوعي :وهو يركز على جريمة معروفة ولكن المستحدث فيها :

-أسلوب التخطيط .

-أدوات "قنوات " تنفيذ الجريمة .

-أسلوب التنفيذ.

-أسلوب الفرار من الأجهزة الأمنية .

**الأطر التفسيرية للظاهرة الإجرامية :**

هناك العديد من الأطر التفسيرية للظاهرة الإجرامية وهي كما أشرنا مسبقا تتراوح فيما بين الشخصي والاجتماعي ،أما عن الإطار الشخصي فيرتبط بجوانب الشخصية الإنسانية وكيف أن اظطرابها يؤدي إلى حدوث الجريمة ،وأما عن الإطار الاجتماعي في تفسير الظاهرة الإجرامية فيرتبط بمجموعة من العوامل الاجتماعية التي مثلت مناخا مواتيا لظهور الجريمة .

**الإطار الشخصي المؤدي للجريمة** :هناك عدة معان للشخصية الانسانية تدور في اتجاهات مختلفة :

-المعني اللغوي :

أولا في الغة العربية :

**أ)الشخصية هي ما يظهر** :إن المستقرئ للفهم العربي ليجد أن هناك نوع من التخلل القائم بين كون الشخصية ظهور وكونها أحوال ،فتارة تكون مشتقات لفظ الشخصية دالة على معنى الظهور و تارة أخرى تكون مشتقات لفظ الشخصية دالة على الأحوال ، و هذا التخلل الحادث في معاني الشخصية ليدل و يؤكد بشكل كبير على مرونة الفهم العربي لبناء الشخصية ،

فالشخصية في الفهم العربي هي ظهور أولا و هذا الظهور لأحوال ، و سيتضح أيضا في الفهم الإسلامي نفس المرونة حيث إن الحال يتخلل كل مكون من مكونات الشخصية فالإنسان بإرادته و نيته و عزمه قد يقوي حالة و يضعف أخرى في ضوء الوجهة العامة للحياة ، و فيما يلي سنقوم بعرض مشتقات لفظ الشخصية التي تدل على معنى الظهور كالآتي :

* في معنى كلمة " الشخص" يستشهد صاحب "لسان العرب" بتعريف " إبن السكيت" للسراب فقال : السراب يخفض كل شيء حتى يصير لازقا بالأرض لا شخص له ، و يتضح هنا من إستخدام لفظ الشخص أنه يدل على الظهور .

* و في كتاب " الأغاني " يسرد لنا " أبو الفرج " : أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يوما : أتعرفين أحدا هو أطرب مني؟فقالت نعم مولاي ، الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأشخص

إليه مقيدا ، و يدل إستخدام أبو الفرج الأصفهاني على أن الإشخاص – الذي هو مشتق من لفظ الشخصية – يدل على معنى الظهور و الحال حيث يقول "أشخص مقيدا".

**ب)الأحوال** :جدير بالذكر أن كثير من المعاجم اللغوية و كتب الأخلاق الإسلامية تتعامل مع مشتقات لفظ الشخصية كالآتي:

- **الشخصية حال العداء :** يشير صاحب " لسان العرب " في معنى الأعلنباء"أن يشرف الرجل و يشخص نفسه كما يفعل عند الخصومة و الشتم فيقال أعلنبي الديك و الهر و غيرها إذا انتفش شعره و تهيأ للشر و القتال ، و هنا يتضح أن الإنسان في حال العدوان و الخصومة يشخص نفسه و يظهر عليه ذلك .

- **الشخصية خاضعة لحال معين :** في تناول صاحب " مختار الصحاح " في باب " ش-خ-ص" قال : " شخص " بصره ، أي خضع و جعل لا يطرق ، و غالبا ما تكون هذه الحالة مرتبطة بالخوف أو الدهشة و الإستغراب.

- **الشخصية كإنتقال من حال إلى حال :** و يضيف صاحب " مختار الصحاح " شخص من بلد إلى بلد ، أي إنتقل ، وعلى ذلك حينما أقول شخص من الغضب إلى الرضا فهذا يعني أن الشخصية قد إنتقلت من حال إلى حال .

- **الشخصية في حالة قوتها :** سئل بن المبارك : من الناس ؟ فقال : العلماء . قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ . قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين و لم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن البهائم هو العلم ، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله و ليس ذلك بقوة شخصه ، فإن الجمل أقوى منه و لا بعظمه فالفيل أعظم منه و لا بشجاعته فإن السبع أشجع منه و لا بأكله فغن الثور أوسع بطنا منه ، ويتضح من كلام بن مبارك و هو من مشاهير المحدثين كيف كان يفهم قوة الشخصية و أنها لم تكن تقتصر على الجانب الجسمي أو الحاجات " مثل الطعام " أو الجانب الجنسي ، و لم يكن بن المبارك يرى قوة الشخصية إلا في التسامي أو التعالي على المكونات البسيطة لها من أجل العلم و تحصيله .

- **الشخصية حالة الإنزعاج :** يوضح صاحب " القاموس المحيط " أيضا أن من ضمن إشتقاقات لفظ " الشخصية " الفعل " أشخصه" و التي تعني أزعجه ، و شخص به أي أتاه أمر أقلقه و أزعجه . (بن منظور ،ص672)

في اللغة اللاتينية : يشير "سيد غنيم " إلى أن كلمة PERSONALITY أي الشخصية جاءت من اللفظ PERSONA و هيتعني القناعحيث
كان الممثلين يضعون قناعا على وجوههم إيحاء بالدور الذي يلعبونه .(سيد غنيم ،1983،ص4)

**المعاني الشائعة للشخصية** :المعاني الشائعة للشخصية تحدد أن الشخصية تستخدم بمعنى المهارة الإجتماعية و الحذق فشخصية الفرد تقدر بما له من فاعلية في إشتثارة إستجابات إيجابية من جانب عديد من الناس في ظروف مختلفة ، وقد تستخدم الشخصية على أنها أقوى الإنطباعات التي يخلقها الشخص في الآخرين كأن نقول "شخصية عدوانية " أو " شخصية مستكينة" أو "شخصية مخيفة".

**الشخصية كمنبه وإستجابة** :و يشير ألبورت إلى أن تعريف الشخصية على أنها تساوي القيمة التنبيهية الإجتماعية للفرد يجعل الشخصية مستقرة في إستجابات الاخرين فقط ، لذا فمن الأفضل في رأي"ألبورت" أن نأخذ بتعريف يرسي جذور الشخصية بقوة الخصائص و الكيفيات التي تميز الفرد ، و يترتب على ذلك ان الشخصية جانب عضوي و جانب مدرك يمكن ربطها بالخصائص الكيفية للفرد و التي تقبل الوصف الموضوعي و القياس .

**التعريف الجامع للشخصية** : و أما عن إتجاه التعريف الجامع أو"حقيبة الخرق" فيتجه لتعريف الشخصية من خلال العد ، حيث يسعى أصحاب هذا الإتجاه لتعريف الشخصية من منطلق إدراج المفاهيم الضرورية في وصف الفرد و التي تتكون منها الشخصية ، وضمن "حقيبة الخرق" يبرز الإهتمام بالوظيفة التكاملية للشخصية ، و من تعريفات الشخصية في هذا الإتجاه أنها "التنظيم الذي يعطي تآلفا و نظاما لجميع الأشكال المختلفة من السلوك الذي يمارسه الفرد".

**التعريف بالجوهر و الماهية** : أما عن إتجاه التعريف بالجوهر و الماهية فهو يرى الشخصية تمثل جوهر الإنسان ، فيرى "ألبورت" أن الشخصية هي" مايكون عليه الإنسان في حقيقته" فالشخصية تتكون في نهاية الأمر من أكثر الأشياء تمثيلا و أعماقها تمييزا للشخص".

**الشخصية كتكوين فرضي** : و إتجاه تعريف الشخصية كتكوين فرضي يرى الشخصية كمفهوم أو متغير وسيط لا يلاحظ مباشرة و إنما يتم إستنتاجه بطريقة غير مباشرة و يتم

ذلك بإستخدام كافة الطرق العلمية و الموضوعية ، وغالبلا ما يستخدم هذا المفهوم في العلوم الطبيعية فمثلا نحن لا نلاحظ الجاذبية و إنما نستدل عليها من سقوط الجسام ، و بالمثل فنحن نرى الشخص يقوم بالإعال و السلوكيات و منها نستدل على الشخصية .

ومن أمثلة تعريفات الشخصية كتكوين فرض نجد تعريف"أيزنك" حيث يرى أن الشخصية هي "ذلك التنظيم الثابت أو المجموع الكلي لأنماط السلوك الفعلية أو الكامنة لدى الكائن ، و نظرا لأنها تتحدد بالوراثة و البيئة فإنها تنبعث و تتطور من خلال التفاعل الوظيفي لأربعة قطاعات تنتظم فيها تلك الأنماط السلوكية: القطاع المعرفي "الذكاء" ، و القطاع النزوعي "الخلق" ، و القطاع الوجداني "المزاج" ، والقطاع البدني "التكوين". (معتز سيد عبد الله ،1990)

و من الملاحظ أن الإتجاهات السابقة لتعريف الشخصية قد وجهت لها إنتقادات عديدة فمثلا تعريف الشخصية كمنبه أو إستجابة وجه له إنتقادات بإعتبار أنه يشير إلى أجزاء معزولة من حياة الفرد تتعلق بالمهارات الإجتماعية مثل القدرة على التعبير و التأثير في الآخرين و هو تعريف سطحي يغفل التنظيم الداخلي العلمي إلا أنه يغطي مساحة عريضة مما يقوم به الشخص من عادات و أفعال قد يصعب حصرها مع ملاحظة أن العلم يهدف إلى الإيجاز في الصف و الإقتصاد في المفاهيم . ( معتز سيد عبد الله ، مرجع سابق ، ص 501)

أما عن تعريف الشخصية بالماهية فيرى"هول لندزي" أنه لا يوجد تعريف بالماهية بحيث يمكن تطبيقه بدرجة عمومية معينة ، وهذا يعني أن الطريقة التي يعرف بها الفرد الشخصية سوف تعتمد كلية على تفضيله النظري فما أن يقتنع شخص بنظرية خاصة في الشخصية حتى تنعكس هذه النظرية في تعريفه للشخصية " . (هول لندز ، مرجع سابق،ص-ص ، 22،23)

**جوانب الشخصية :** إلا أن هناك جوانب للشخصية الإنسانية تمثل حالة من الإجماع :"الجانب الجسمي ، والجانب العقلي ، الجانب الوجداني ، الجانب الإجتماعي" ، و هذه الجوانب أدت لنشأة كثير من المداخل و زوايا الرؤية في تفسير الشخصية الإنسانية و بالتالي تفسير الظاهرة الإجرامية من زوايا ما هي السمات و العوامل الشخصية التي تقف وراء نشأة السلوك الإجرامي ؟.

*** الأطر التفسيرية للظاهرة الإجرامية من زوايا مكونات الشخصية الأربع الرئيسية :**

- **الجانب الجسمي** : هنا لم يقتصر منظور الرؤية على الجسم و ما به من خصائص قد تؤدي إلى السلوك الإجرامي و لكن "البداية" في وجهة نظر هؤلاء الباحثين و المنظرين كانت من الجسم ، و من أشهر الأطر التفسيرية التي رأت في الجانب الجسمي إرتباطا بتفسير الظاهرة الإجرامية ، نظرية لومبروزو و كريتشمر و النظريات التي رأت في الوراثة سببا للإختلال الشخصي و من ثم الإجرام .

أما عن نظرية لومبروزو فهي سابقة تاريخيا كل النظريات العلمية التي بدات من الجسم كنقطة إرتكاز أولية في تفسير الظاهرة الإجرامية ، و إن كان يرى"جيرمان فريدريشGermanJ.B.Friedreich" أول المتحدثين عما يعرف "الظاهرة

(Hans Gross,2002,p45)

المرضية ذات الأصول الجسمية somatic pathological phenomena"، و برغم ذلك يعد لومبروزو هو أبرز المتحدثين عن الظاهرة الإجرامية من منشأ جسدي تشريحي ، و قد ركز لومبروزو على الخصائص التشريحية للمجرمين مقارنة بالأشخاص العاديين ، حيث وجد داخليا في جسدهم و خاصة مناطق الجمجمة فجوات ليست موجودة لدى غير المجرمين ، و وجد لديهم خارجيا صفات و ملامح م نكبر الأذنين و بروز عظام الخدين و صغر الجمجمة و ضيق الجبهة و إنحدارها و ضخامة الفكين ، وهم في تاريخهم الشخصي أقل إرتقاء و نموا من غيرهم مما يجعلهم أقرب للإنسان البدائي الوحشي .

و أما عن الطبيب النفسي الألماني "كريتشمو" فإن نظريته تعتبر تطويرا لنظرية الأمزجة عند"أبقراط" ، و الأساس الذي إرتكن إليه كريتشمر كان فحص نمط الجسم فرأى :

- الواهن جسديا و شبه الفصامي مزاجيا و ينتهي بالفصام و يرتبط إجراميا بالغش البسيط أو السرقات .
- البدين جسديا و الدوري المتقلب مزاجيا وينتهي بالذهان الدوري و يرتبط إجراميا بجرائم الخداع .
- الرياضي جسديا و لديه قدر من الإتزان الوجداني و لكنه يرتبط أكثر بجرائم العنف .

(محمد شحاتة ربيع،جمعة يوسف،معتز سيد عبد الله ،1995،ص88)

و بالنسبة للوراثة و أثرها فقد ثبت أن إختلال الكروموزومات يؤثر بشكل كبير على التوجه نحو السلوك الإجرامي ، حيث من الطبيعي في الذكر أن يكون نتيجة لتلاقي للكروموزومات YوX ، و الأنثى XوX ، و لكن الدراسات إكتشفت أن بعض المجرمين

يحملون الشذوذ الكروموزومي XYY و هو يعني أن هذا الشخص لديه مستوى ذكاء أقل من المتوسط و طول فوق المتوسط و لديه مستوى ذكاء أقل من المتوسط و طول فوق المتوسط و لديه سلوك مضاد للمجتمع ".

(محمد شحاتة ربيع ، جمعة يوسف ، معتز سيد عبد الله،مرجع سابق ،ص85)

**الجانب العقلي :** في ظلال هذا الجانب ظهرت مناحي تفسيرية عديدة ، أهمها على الإطلاق ما توصل إليه "سيمناو- يوتشيلسون" 1984 Yochlson, and Samenow (Yochelson, S and Samenow,S,1984)

حيث توصلا إلى أن الفارق الرئيس بين المجرمين و غير المجرمين هو فرق في نمط التفكير ، حيث توصلا من خلال دراسة 255 نزيل "مجرم" للمصحات النفسية إلى أن لدى المجرمين أخطاء معرفية تصل إلى 40 خطأ توصلا إليها بطريقة المقابلة في سياق العلاج الفرويدي ، و قد قاما بإجمال أو تلخيص هذه 40 خطأ في :

- **أنماط التفكير الإجرامي :** و هي تشمل سمات متصفة بالخوف و آنية الحاجة للقوة و التحكم ، و البحث عن الكمال و اللجوء للكذب و غياب الإتساق ، و التفكير المجزأ و تقص إدراك الزمن .

-**أخطاء التفكير الآلي:** و يشتمل هذا البعد نقص التفهم والثقة و فشل تقبل الإلتزامات و تفضيل لنمط إتصال سري إلى جانبإدراك الذات كضحية .

- **الجريمة المرتبطة باخطاء التفكير :** التخيل المتفاءل بخصوص أفعال إجرامية معينة بدون إعتبار لعوامل أخرى ، و يتضمن ذلك بمنطق تحصن غير واقعي .

**الجانب الإجتماعي :** يعد الجانب الإجتماعي "للشخصية" من الجوانب الهامة في تفسير الظاهرة الإجرامية ، وخاصة إذا كان هناك إنقسام حاد بين وجهة النظر الوراثية و البيئية في تفسير السلوك افجرامي ، و جدير بالذكر ان هناك عدة مناظير تختص بتفسير الظاهرة افجرامية إجتماعيا منها :

**1- الرابطة :** يتمثل نموذج هايرشي"Hirschi" نموذج لتفسير الضبط الإجتماعي ، ويتلخص هذا النموذج في أن الفشل في تكوين جانب إجتماعي إيجابي للشخصية يترتب عليه إضطرابا في الشخصية . (محمد شحاتة ربيع وآخرون،مرجع سابق،ص122)

حيث يشير هايرشي إلى ان الرابطة الإجتماعية بين الشخص و بيئته تتمثل في أربع متغيرات تحقق الضبط :

المودة "الإتصال"Attachment

الإلتزام Commitment

الإندماج Involvement

الإعتقاد Belief

**2-الظاهرة الإجرامية و التعلم :** يتلخص هذا المبدأ في ان السلوك الإجرامي سلوك متعلم و الفارق الجوهري يمثل فارقا في التعزيز و الهداف فقط ، فبفعل الإتصال الإجتماعي و التخاطب ، و هناك عدة مبادئ تفسر الظاهرة الإجرايمة من منظور التعلم :

- تساهم التنشئة الإجتماعية إلى تنمية شخصية الإنسان إجراما أو سواء.

- تمثل متغيرات التنشئة الإجتماعية " سواء أساليب المعاملة أو المستوى الثقافي و الإقتصادي و الإدراك الإجتماعي " مؤيدة في ظل ظروف معينة قنوات و عوامل مؤدية لإختيار المسار الإجرامي .

- أن شخصية المجرم بفعل التشريط و حوافز معينة تتجه للإجرام ، وبالتالي علاج هذا الإجرام يجب أن يكون بإزالة هذا التشريط .

- إضافة إلى التشريط و مثيراته فإن الشخصية لكي تنتقل لدائرة السلوك الإجرامي يجب أن يتوفر لها نموذج للإقتداء و المضاهاة ، و أهم صفات هذا النموذج : التأثير ، القرب ، الفعالية .

**الجانب الوجداني :** في إطار طرح الإتجاهات التي ركزت على الجانب الوجداني كبداية أو كعامل رئيس يقف وراء الجانب الوجداني كمسبب للظاهرة الإجرامية نجد أنفسنا امام وجهة النظر الفرويدية التي جمعت بين :

- الغريزة و مايصحبها من مشاعر و احاسيس و يمثله " الهو " .
- الإدراك الإجتماعي المتمثل في "النا" و قوتها في قيادة الغريزة .
- الضمير أو المثل العليا و البحث عن الكمال " الأنا الأعلى".

و الجريمة بوصفها تصدر عن شخص مضطرب ترتبط عند فرويد :

- بالكبت و عدم إشباع الحاجات.
- و بالتالي النكوص إلى مراحل سابقة كانت تحقق الإشباع .

- و عليه يتم التثبيت الإدراكي " شعوريا –لا شعوريا" على هذه المراحل التي كانت تحقق الإشباع .
- و أهم ما يميز شخصية المجرم و إضطرابه أن الأنا لديه فاشلة لم تستطع التوفيق جيدا بين الغريزة و الضمير.

(محمد شحاتة ربيع و آخرون ، مرجع سابق ، ص –ص ، 112،113)

و إننا حينما نتعامل مع مبادئ فرويد التي أقام عليها تنظيره نجد :

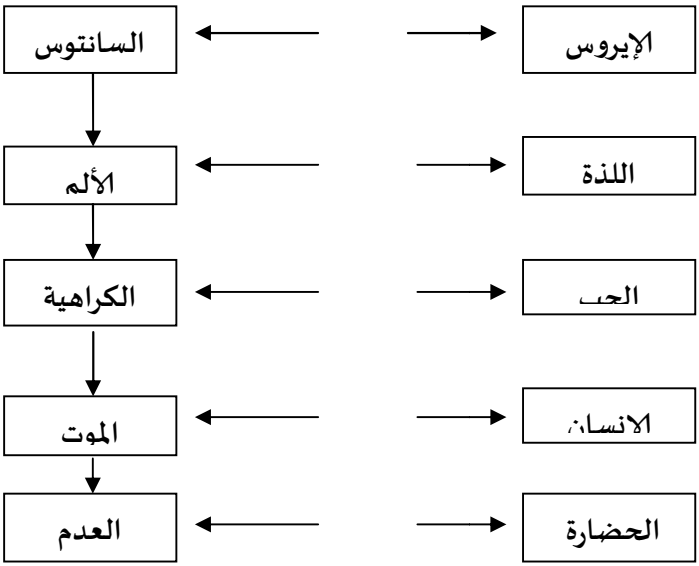


شكل (1) يوضح البناء الدافعي الإنفعالي لدى فرويد

**الترتيب الإختباري"كتفسير للظاهرة الإجرامية" :**

طور بواسطة ديفيد جوردون D.Gordon الولايات المتحدة الأمريكية وجراهام ديوس G.Dawes في المملكة المتحدة، وقد ركز مبتكرو هذه الرؤوية على تحليل الأداء بشكل عميق، ولكن المقاربة الحالية التي سنلجأ لها فيما يتعلق بالظاهرة الإجرامية متمثلة في سؤال رئيس : إلى أي حد شخصية المجرم طبقا لهذا النموذج تتمايز عن غير المجرم ؟

(Gordon David&Graham Dawes ,2005,p78)

وجوهريا الترتيب الإختياري له تطبيقات في :

- التغير الشخصي .
- والنمذجة.
- و تعزيز الأداء.

و يمكن إجماله في خمس عناصر و التي تساهم في ظهور الداء :

* المخرجات Outcoes
* السلوك Behavior
* الطرائق (الإستراتيجيات) العقلية Mantel strategies.
* المشاعر Emotions.

وكل مكون مرتبط بالآخر لذا تصبغه الصفة الكلية التي تجعل منه نظام متكامل، والعناصر الداخلية للتفكير والمشاعر يتم التأثير من خلالها في السلوك الخارجي، والسلوك يؤثر في النتائج (المخرجات) المنجزة وبسبب هذه العلاقات المتداخلة لو تغير جزء واحد من النظم سيؤثر في الآخرين وسيحدث أيضا تغييرا، ويتضح هذا الترتيب كما بالشكل الآتي:

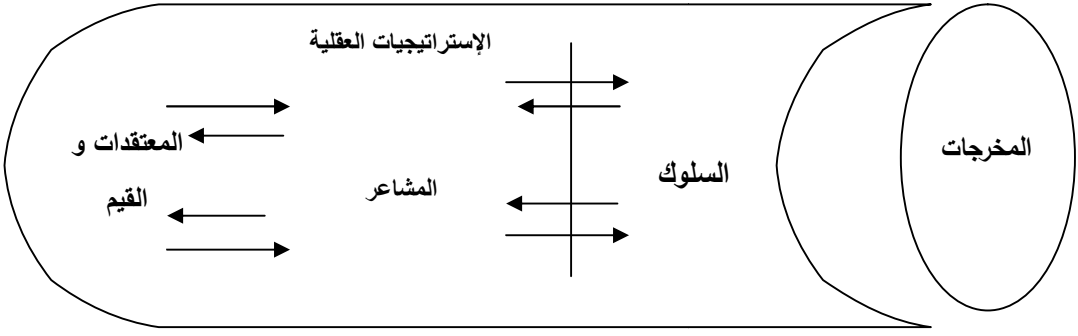


شكل (2) يوضح الترتيب الإختياري

ويوضح الشكل الإرتباطات بين هذه العناصر ويوضح أيضا درجات التأثير الحادثة بواسطتهم في بعضهم البعض، لذا يوضح الحجم النسبي للأسهم درجة التأثير، مع التأكيد على التأثير الكبير للمشاعر والتفكير على السلوك أكثر من تأثير السلوك عليهما، ويشابه ذلك أن المعتقدات لها تأثير كبير على الأفكار والمشاعر و السلوك أكثر من أي من هذه العناصر على المعتقدات في أي وقت، وبالطبع بمرور هذه العناصر ربما تشارك الخبرة التي قد تغير نهائيا المعتقدات.

وتعود أهمية السياق إلى أن العناصر الخمس الموصوفة بأعلى ربما تختلف من موقف لآخر، فعلى سبيل المثال ربما هناك شخص لديه نمط واحد من السلوك في العمل "سياق معين" ونوع مختلف من السلوك في المنزل "سياق آخر" ، وأيضا ضمن نفس السياق أفراد آخرين ربما لديهم نماذج مختلفة من الأفكار والمشاعر والسلوك ويهدفون لأغراض مختلفة.

وطبق للتناول السابق للترتيب الإختياري فإننا يمكن أن نصيغ فرضيات لشخصية المجرم منها :

- طبقا لما ورد سابقا لدى "سيمناو-يوتشيلسون" فإن الإستراتيجيات العقلية أو طرائق معالجة الأفكار بها أخطاء وهم متوافقون مع هذه الأخطاء، بمعنى وجود المبررات العقلية للتمسك بالفكرة حتى لو كانت متناقضة ومرفوضة إجتماعيا (و هذا يعني طبقا ل"بول فاين"فإن العقل يقبل تناقضات في برنامج الحقيقة ما لم يقم بالربط بينها منطقيا) .

(كاثرين كبربرات-أوربكيوني،2008،ص-ص 266،267)

و كما يرد في بعض الأعمال الدرامية العربية وما يحدث و يشاهد في الواقع مثلا إعتبار الرشوة رزق يسوقه الله ، أو أن يتوكل اللص على الله تعالى لكي ييسر له رزقه.

- و هذا التناقض في برنامج الحقيقة قد يوجد بدرجة ما لدى غير المجرمين و لكنه عند المجرمين بحالة توافق و رضا عن النفس، بل و إستحسان لما هم عليه .

- و هذه التناقضات في برنامج الحقيقة أو أخطاء التفكير تؤثر على الإنفعالات و السلوك و تؤثر على الأداء الحياتي العام للمجرمين، فعلى حد تعبير البرمجة اللغوية العصبية في إفتراضتها المسبقة (الخريطة ليست هي الموقع The Map isn't the Territory) فالإدراك و الشاعر و السلوكيات ليست هي الواقع ولكن ماندركه و ننتقيه و نحبه من الواقع .

**الظاهرة الإجرامية كإنحراف :** يكاد يكون معنى الإنحراف Deviation هو المعنى الجامع للظاهرة افجرامية ، فالصل أن كل جريمة هي إنحراف، ولكننا لدينا إعتبارات هامة تجدر الإشارة إليها :

**إحصائيا:** برغم كون الظاهرة الإجرامية إنحرافا، إلا أن كلمة الإنحراف كلمة جامعة ولكنها ليست مانعة، فليس كل إنحراف في الشخصية يمثل جريمة، ففي افحصاء السيكولوجي على وجه الخصوص نجد أن الإنحراف المعياري على جانبي المنحنى الإعتدالي للأشخاص له تفسير إيجابي بزيادة القدرات والإمكانيات" إرتفاع نسبة الذكاء للتفوق

والموهبة و العبقرية" أو تفسير سلبي " بالإتجاه نحو القابلية للتعلم إلى باقي درجات التخلف العقلي " .

**إجتماعية معيارية :** أن الظاهرة الإجرامية كإنحراف تمثل تحولا عن المعايير و الموضوعات التي تحدد إجتماعيا بإختلاف التنوع في مكونات هذه الموضوعات"دينية – علمانية – محافظة – متشددة – متطرفة – معتدلة".

**شخصية داخلية :** تمثل العوامل الشخصية نقطة إرتكاز رئيسة في تفسير الظاهرة الإجرامية .

و كما يشير"ويليام ديفيدسون"William Davidson إلى أن الإنحراف بالمقارنة على الظاهرة الإجرامية " يتمثل في أربعة مناظير رئيسة :

**الظاهرة الإجرامية نتيجة لعوامل داخلية:** في هذا السياق يمكننا تصور أن الفروق الفردية لإختلاف الأفراد في مستويات الصفات و الداء الشخصي، هي السبب الرئيس وراء الإنحراف سواء إيجابا او سلبا، فزيادة المهارات وإرتفاع الداء الشخصي يؤدي إلى تمايز إستثنائي إيجابي، وإنخفاض المهارات وضعف الداء يؤدي إلى تمايز إستثنائي سلبي في التقييم الإجتماعي.

والإشكالية الحقيقية والخطيرة في نفس الوقت ترتبط بكون التميز الإستثنائي الإيجابي قد يكون دافعا لسلوك إجرامي، فلننظر على سبيل المثال إلى الفارق المعرفي والمهارة فيما بين الهاكرز "قراصنة الأنترنت" وبين مستخدمين عاديين للأنترنت لنعرف أن تميزهم المعرفي الإستثنائي كان مغريا بشكل كبير للممارسة أعمال القرصنة .

(Willaim Davidson ,2004,)

**الظاهرة الإجرامية والمنظور التفاعلي "الإستجابة الحرجة":** فالفروق الإجتماعية تتسبب بشكل كبير في إحداث فروق على المستوى الإجتماعي الإقتصادي وعلى مستوى البحث والفرص و الإغتراب بصوره ومظاهره.

فالفروق الإجتماعية ظاهرة طبيعية في إطار أي تجمع بشري و لكن الإشكالية فيما يقف وراء هذه الفروق من صور غياب العدالة والمساواة في الفرص والواجبات ومدى القناعات الشخصية والجمعية بكون هذا المجتمع أصبح يعطي طابعا عاما بعدم إمكانية الإصلاح مما يمثل ذريعة لكثير من الأشخاص لإرتكاب جرائم هي بالنسبة لهم أخلاقية وتمثل حالة من البحث عن العدل والمساواة".

**الظاهرة الإجرامية والمنظور التفاعلي " الإستجابة الحرجة ":** في هذا السياق ترتبط الظاهرة الإجرامية بما يسمى الإستجابة الحرجةCritical Respons، وهي تلك الإستجابة التي تتطلب وصفا وتحليلا و تأويلا وحكما، وبالتأكيد تظهر الإستجابة الحرجة في فترة حرجة Critical Period و هي فترة تغير يظهر فيها حدث أو أحداث معينة تتطلب إستجابة حرجة لهذا الحدث، وبالتأكيد إذا فشل الشخص في أداء الإستجابة الحرجة المطلوبة فسينحرف سلوكه ويختلف عن الحدث المطلوب التعامل معه، وإذا لم تكن الإستجابة حرجة فهذا يعني أنها ستخلو من شروط الوصف والوضوح والتحليل والتأويل و الحكم .

**الجرائم المستحدثة من المنظور النفسي :** لقد أشرنا إبتداءا بأن الإستحداث قد يكون جريمة جديدة غير مألوفة كليا و قد يكون نوعيا بإعتباره ألفة الجريمة و لكن جديدها في التخطيط و التنفيذ و الأدوات و القنوات المستخدمة و الفرار من أجهزة العدالة ، وبناء على ذلك لدينا عدة مبادئ أولية في التعامل مع هذا النوع من الجرائم :

* أن التفسيرات النفسية السابقة في مجملها تنطبق بشكل ما على الجرائم المستحدثة ففي النهاية الذي يقوم بالجريمة شخصية إنسانية لها دوافعها وميولها و رغباتها وسوائها وإنحرافها .

* أن المجرم في الجرائم المستحدثة و بخاصة في الجرائم التي تستخدم الفضاء المعلوماتي Space Cyber هو مجرم ذكي وفني محترف أو هاو متمكن ، بعكس المجرم في الجرائم العادية قد يكون ذكيا و لكنه قد يكون جاهلا أميا .

* أن إنتشار و زيادة عدد الجرائم المستحدثة مرتبط بعوامل عدة :

1- أننا في عصر المعلومات و بالتالي من يملك معلومات أكثر يكون له السيطرة و القوة والسبق سواء كان توجهه سويا أو إجراميا .

2- أن تحول العالم لقرية كونية صغيرة "قلل بشكل كبير أهمية الحدود التقليدية وfالتالي هذا الإنتفاخ في ظل العولمة يخلق عددا لامتناهيا من إحتمالات الإستحداث. (فؤاد الدوش ، 2004 )

3- أن الفضاء المعلوماتي المعرفي الحالي خلق حالة من التقارب الشديد بحيث دشن ما يسمى "موت المسافة" بفعل السرعة الحادثة في النقل والتبادل، وهذا الموت للمسافة يزيد مساحة الإستحداث ويخلق حالة من الداروينية في الفضاء السيبري تؤثر على الفضاء الواقعي.

**-أنماط الجرائم المستحدثة:** هناك عدد من الأنماط للجرائم المستحدثة منها سرقات كلمات السر لبطاقات الإئتمان، وجرائم التشهير الجنسي ، وجرائم الإنتحال، وجريمة تخريب الإنترنت Internet Vandalism ...إلخ، ولكثرعدد هذه الجرائم والسرعة غير العادية في الإستحداث فلنتناول جريمة واحدة ونحاول تقديم نموذج هيكلي يفسرها سيكولوجيا ونرى بعد ذلك إمكانية مقاربته بتنوعات على جرائم أخرى، ولتكن هذه الجريمة تخريب الإنترنت .

**نموذج هيكلي اتفسير تخريب الإنترنت سيوكولوجيا**

**الماهية:** في البداية ما هو تخريب الإنترنت؟ يمثل تخريب الإنترنت قيام شخص أو مجموعة أشخاص أو هيئة أو مؤسسة بإفساد أو تحطيم موقع إلكتروني معين .

**النموذج المفسر :** روبرت ديلتس Robert Dilts متخصص ومنظر في اللغويات العصبية وبخاصة كيفية تغيير اللغة لمعتقداتنا و أفكارنا و مشاعرنا ، ويضع ديلتس نموذجه الذي يتكون من معادلة هامة متمثلة "المستويات العصبية" ×إدراك الزمن × وظائف الإدراك" ، و قد وقع إختياري على هذا النموذج كونه :

1- يربط بين العوامل الداخلية الشخصية و البيئة الخارجية .
2- يحدد مجموعة من التكوينات العقلية في تفاعلها مع إدراك الذات و إدراك الزمن .

(R,dilts & Judith delozier,2000)

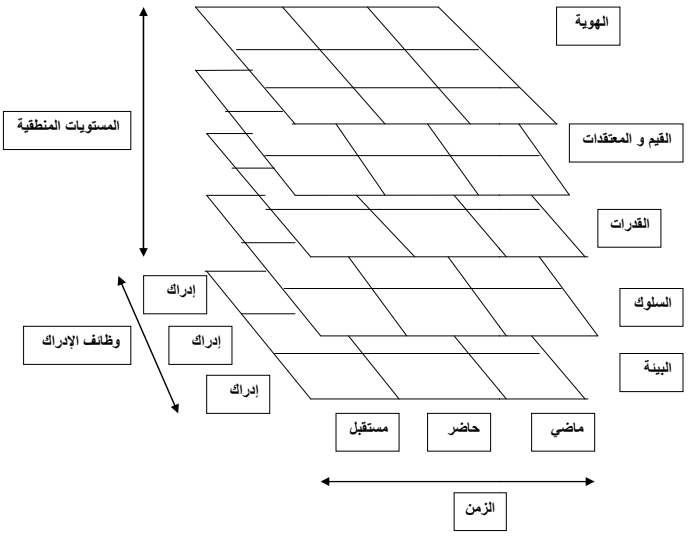

**عمل النموذج :** أما عن عمل النموذج في تفسير الظاهرة الإجرايمة فيمكننا الإشارة إلى :

**1- بالنسبة لإدراك الزمن :** يدرك تماما مخرب الإنترنت :

-أن إحساسه بالزمن يتأرجح بين الماضي و مشكلاته و ضرورة تفاديها و بين ضرورة تنمية المهارات و القدرات لكي يلاحق التفجر الحادث في وسائل الأمن و حماية المعلومات .

-لذا فما يسيطر عليه مبادئ الإبتكار و تنظيم الذات تعليميا بشكل كبير.

**2- بالنسبة للمستويات العصبية و وظائف الإدراك :**

**-الهيوة :من؟ Self or not self:** لا مشكلة كبيرة لدى مخرب الأنترنت في مسألة التصنيف لقرصان أو مخرب أو مهاجم ، فهذه مشكلة يمكن تجاوزها بالقدرة على التخفي في العالم الإفتراضي ، وعلى ذلك فإدراكه لذاته لا يتأثر كثيرا بالوصمات الموجودة في الواقع الفعلي ، بإعتبار أنه في الواقع الفعلي لو لم يتم تتبعه لن يحصل له أي مشكلات قانونية أو إجتماعية . وبالمثل فالوظيفة الثانية في إدراكه المتعلقة بإدراكه لرغبات و حاجات الاخر "أنت" و المهم هامة جدا لأنه على أساس إدراك رغبات "انت" و"هم" ستستطيع التخطيط للتحك و السيطرة و تخريب و إزالة مواقع الإنترنت بجوار قاعدة معرفية متينة جدا لدى المخرب.

**المعتقدات و القيم "لماذا؟" الإذن و الدافعية :** في هذا المستوى نلحظ تجلي سؤال لماذا يسعى مخربو الإنترنت لمثل هذا السلوك ؟ واقع المر أن الثورة المعلوماتية الحالية مرتبطة إلى حد بعيد بجيل الشباب أكثر من جيل الكهول و الشيوخ ، فالثورة المعلوماتية دشنت مع الإنترنت و تكنولوجيا المعلومات ، والشباب له خصائص الثورة و المترد ، و بخاصة المراهقين.

(فؤاد الدواش ،2004)

فالمراهق و الشاب كيانات بازغة إلى الحياة ، تبحث عن هوية و إثبت وجود و هم يسعون إلى عالم يتحقق لهم فيه ما يريدون عالم مشبع لحاجاتهم ، و بالتالي هم يحملون بالجنة ، وهذا الحلم بالجنة يؤدي إلى التفكير الإفتراضي ، وهذا التفكير الإفتراضي يجد جنته ثورة و تمردا و تخريبا في عالم إفتراضي .

ومايدعم ذلك ما أشار إليه"بوتنام"Putnam2000 حيث أشار إلى أن مستخدمي الإنترنت يعانون تناقضا في التواصل الإنساني ، فمن ناحية مع مع الفضاء اليبراني الذي يوسع فرص الإتصال ، إلى الإنعزال عن المحيط الإجتماعي الفعلي المباشر . (Putnam ,2000)

وقد توصل Kraut et al 1998إلى(وجود هذا التناقض و ان مستخدمي الأنترنت لفترات طويلة يظهر عليهم أعراض الإكتئاب و رفض التواصل مع العائلة و الإحساس بإرتفاع الضغوط النفسية ) .

(Robert Kraut,Michael Patterson,1998)

و بالتأكيد فإن كل هذه العوامل تحتاج إلى حالة من الفض و الإزاحة ، و بحكم الداروينية في الفضاء المعلوماتي فالأقوى فنيا و معلوماتيا يمكنه الإعتداء و الإختفاء ، وحتى أمهر الأجهزة الأمنية في التتبع في بعض إن لم يكن في معظم الحالات فما بالنا بغياب شرطة الإنترنت و التتبع في الكثير من الدول .

**القدرات "الكيفية"**: برغم المهارة و الحذق الشديد الذي يتصف به مخربو الإنترنت إلا أنهم يدركوا ضرورة تطوير أساليبهم في التخريب و السيطرة على الأنترنت ، فإننا نجد أن آلاف الفيروسات الحاسوبية التي تصنع و آلاف التقنيات التي تستخدم في نسخ و سرقة و إفساد المواقع الإلكترونية ، وقد أدركت شركات البرمجيات ذلك ، فمثلا برامج مكافحة الفيروسات تحتاج إلى تحديث كل فترة لمعرفة أنواع و خصائص الفيروسات الجديدة ، لأن مخرجو الحواسيب و الأنترنت يعتقدون بأن بقائهم و سيطرتهم مرهونة بتجديد قدراتهم و مهارتهم ، و طبقا لوظائف الإدراك فإن لدينا منظور من يهاجم "أنا" المخرب ، و منظور من يكافح"أنت" و كيف يدركون تصورات بعضهما سواء فيما يتعلق بالهجوم أو يتعلق بالمكافحة .

**السلوك "ماذا"؟** : يشير السلوك إلى الأفعال التي يقوم بها مخربو الأنترنت و تحقق لهم السيطرة و الإحساس بالقوة Sense of Power في هذا الفضاء المعلوماتي ، فنشاط تخريب الإنترنت قد يكون مدفوعا بأهداف سياسية الغرض منها الإنتقام من

الرأي أو الموقف المعارض و قد يكون نتاج غضب من رأي أو وجهة نظر أو نتيجة لتعبئة من الواقع الإجتماعي الفعلي فإنتقلت للعالم الإفتراضي " . (هنا جدير بالذكر الهجوم على مواقع الصحف الدانمركية بسبب الإساءات لشخص النبي "ص")

**البيئة " أين / متى ...الزمكان"** : إن البيئة السبرانية هي نموذج من البيئة الإجتماعية الواقعية ، فالبيئة الواقعية تشمل هوية وقيما و معتقدات و سلوكيات و ما حدث :

1- تغير في قناة العرض .
2- تغير في سرعة العرض.
3- و تغير في طريقة عرض هويات العارضين "الأسماء المستعارة".
4- زوال القيود الإجتماعية التقليدية .
5- و أصبح الحديث ليس عن التحرر و التحديث في هذه البيئة و لكن في كيفية الضبط و الحد من هذا التوجه الحداثوي أو إن صح ما بعد الحداثوي .

و هذه البيئة المتحررة من الصعب التنبؤ فيها بسلوكيات المخربون و مرتكبو الجرائم السبرانية الأخرى ، و يدرك هؤلاء المدى الذي تظهر فيه أفعالهم.

**المراجع :**

1- جابر عبد الحميد ، علاء كفافي،معجم علم النفس و الطب النفسي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ج3 ، ط1 ،1990.
2- عباس أبو شامة ، التعريف بالظواهر الإجرامية المستحدثة ، حجمها أبعادها نشاطها في الدول العربية ، الرياض منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، 1999.
3- عبد الله يوسف ، أساليب تطوير البرامج و المناهج التدريبية لمواجهة الجرائم المستحدثة ، الرياض ، منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، 2004.
4- بن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري : لسان العرب –ج1- دار صادر ، بيروت.
5- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح دار الحديث ، القاهرة .
6- سيد غنيم ، الشخصية ، سلسلة كتابك ،عدد160، دار المعارف ، القاهرة ، 1983.
7- معتز سيد عبد الله ، الشخصية الإنسانية ،دار غريب ، القاهرة ، 1990.
8- هول لندزي ، نظريات الشخصية ، ترجمة فرج احمد فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1985.
9- محمد شحاتةربيع ، جمعة يوسف ، معتز سيد عبد الله ، علم النفس الجنائي ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1995.

10- كاثرين كبربرات ، أوريكيوني ، المضمرة ، ترجمة ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007.

11- فؤاد الدواش ، معالجة نفسية للعولمة ، دار سحاب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2004.

12-فؤاد الدواش ، البرمجة اللغوية العصبية : الأصول والماهية –الهياكل- المفاهيم ، مكتبة النجلو المصرية ، القاهرة ، 2006.

13-فؤاد الدواش ، البرمجة اللغوية العصبية من الرؤية للفعل ، مكتبة النجلو المصرية ، الكتاب الأول ط1،القاهرة ، 2005.

14-فؤاد الدواش ، حالات الهوية عند المراهق و علاقتها بموقفه من السلطتين الوالدية والمدرسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات و البحوث التربوية ، جامعة القاهرة ، 2000.

15- W. Edward Craighead and Charles B. Nemeroff( 2004 ): The Concise Corsini Encyclopedia of Psychology and Behavioral Science, John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey..

16-Hans Gross(2002) Criminal Psychology A MANUAL FOR JUDGES, PRACTITIONERS, AND STUDENTS, Translated from the Fourth German Edition BY HORACE M. KALLEN, PATTERSON SMITH REPRINT SERIES IN CRIMINOLOGY, LAW ENFORCEMENT, AND SOCIAL PROBLEMS,Montclair, New Jersey,

17- Yochelson, S. and Samenow, S. (1984) Inside the Criminal Mind. Random House.

18-Gordon, David & Graham Dawes(2005), Expanding Your World: Modeling the Structure of Experience ISBN 0-9765616-0-3,puplished by David Gordon - Carol , H(1999) : NLP:An Introductory Guide to the Art and science of Excellence , Element Book Limited , Shaftes bury , Dorsetep 78 bp .

19- William Davidson: Deviance(in) W. Edward Craighead and Charles B. Nemeroff( 2004 ): The Concise Corsini Encyclopedia of Psychology and Behavioral Science, John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey.

20- R. dilts & Judith delozier (2000) :encyclopedia or systemic nlp and nlp new coding , voli ,nlp university press.

21- Putnam(2000):bowling alone, New York, Simon and Schuster

22- Robert Kraut, Michael Patterson, Vicki Lundmark, Sara Kiesler, Tridas Mukopadhyay, and William Scherlis (1998): Internet Paradox A Social Technology That Reduces Social Involvement and Psychological WellBeing? ° American Psychologist, Vol. 53, No. 9, 1017-1031